ثالثا : المنهج الاسترادادى : وهو المنهج الذى يستخدم فى استعادة الماضى تبعا لما تركه من آثار أيا كان نوعها : وهو المنهج المستخدم فى العلوم التاريخية والأخلاقية (١)

وتتكون خطوات البحث فى المنهج الاسترادادى على النقاط التالية :

المرحلة الأولى : جمع الوثائق . فالخطوة الأولى التى تمهد لأى دراسة تاريخية تبدأ بالبحث عن الوثائق التى تتصل بموضوع البحث (والمراد بالوثائق الآثار التى تركتها مجارب الاجيال الماضية سواء كانت مادية أو مكتوبة)

المرحلة الثانية : التحليل التاريخى (النقد) فإذا انتهى الباحث من اختيار موضوع دراسته ومن جمع الوثائق الخاصة به بدأ يحللها ويمحصها : والتحليل نوعان : خارجى وداخلى ولكل منها خطوات وهدف معين وتنحصر الخطوات التحليلية فى الرجوع من الوثيقة إلى الظاهرة التاريخية والتى كانت سببا فى تدوينها – ان كانت مكتوبة – أو ايجادها – ان كانت مادية – ويتطلب ذلك الرجوع إلى سلسلة معقدة من الاستدلالات التى يرتبط بعضها ببعض على أن أى خطأ فى الانتقال من استدلال إلى آخر يفسد نتائج التحليل .

المرحلة الثالثة : تحديد الظواهر الخاصة : تنتهى مرحلة التحليل بنوعيه – الداخلى والخارجى – بأن تضع أمام المؤرخ العناصر الاساسية التى تحتوى عليها الوثائق والتى يمكن استخدامها فى المرحلة التالية الكبرى من منهج البحث فى التاريخ أى فى مرحلة التركيب ويستطيع المؤرخ أن يفرق بين ما هو جوهرى وبين

---

(١) مناهج البحث العلمى للدكتور عبد الرحمن بدوى ص ١٩ .

مالا قيمة له وهذه العناصر الاساسية قد تكون أخيارا خاصاً بالظواهر التاريخية أو اراء لصاحب الوثيقة أو لمن نقل عنه.(١)

هذه هى خطوات البحث فى المنهج الاسترادادى وإننا اذا نظرنا اليها نجد أن القرآن الكريم قد أشار إلى جميع هذه الخطوات فى كثير من آياته بل إلى ما هو اكثر من هذا وهو أن القرآن الكريم قد اعتبر التاريخ مصدرًا هاما من مصادر المعرفة

ولقد استخدم علماء الإسلام هذا المنهج وطبقوه على ابحاثهم العلمية قبل أن تعرفه أوربا بعشرة قرون وهم الذين قاموا بوضع الأسس والقواعد التى يقوم عليها هذا المنهج وكان لعلماء الحديث اليد الطولى فى هذا الضمار حيث قاموا بوضع قواعد النقد التى تشتمل على جانبين أو مبحثين من مباحث الحديث النبوى مبحث الاسناد ويسمى علم الرواية ومبحث المتن ويسمى علم الدراية . وقد كان من آثار الالتزام بالاسناد أن قام العلماء المتخصصون بوضع القوانين والضوابط التى تحدد مَن مِن الرجال تقبل روايته ومَن ترد روايته فدونوا كتب الرجال والتراجم التى تعنى بأخبارهم ورحلاتهم وشيوخهم وتلاميذهم وطبقاتهم وأوطانهم وتاريخ ولادتهم ووفياتهم وتعنى كذلك بحث عدالتهم وجرحهم وتعديلهم مما أنتج للمسلمين ثروة علمية عظيمة النفع إذ توضح حركة المجتمع وتاريخ العدد الكثير من أفراده وعلمائه .

كما اعتنى العلماء ببيان علل الاسناد الظاهر منها والخفى كالانقطاع والاعضال والشذوذ والارسال والتدليس ووصل المرسل ورفع الموقوف وابدال الاسناد وجمع الشيوخ .. وما إلى ذلك ويكفى لمعرفة دقة المنهج العلمى الذى اتبعه العلماء المسلمون وتكامله الأطلاع على عناوين الأبواب التى أوردها الخطيب البغدادى فى كتابه

---

(١) المنطق الحديث .. للدكتور محمود قاسم ص ٤٨٨ وما بعدها .

الكفاية فى علم الرواية والتى منها اشتراط العدالة وأن السفة والكذب يوجب إسقاطها " " كراهة النقل والرواية عن الضعفاء واختيار السماع من الامناء " ترك السماع ممن اختلط وتغير " من غلب على حديثه وروايته الشواذ والمناكير والغرائب لا يحتج بروايته " ترك الاحتجاج بمن كثر غلطه وكان الوهم غالبا على روايته " ورد حديث أهل الغفلة ومن عرف بالتساهل فى سماع الحديث أو روايته " " كراهية الرواية عن أهل المجون والخلاعة " ومن عرف بالصلاح والعبادة ولم يكن من أهل الضبط والرواية بترك الاحتجاج بحديثه " " ونقل الحديث كما تلقى دون زيادة أو إبدال كلمة بكلمة بل حتى حرف بحرف او حركة بحركة وإن كان ذلك لا يغير المعنى ولا يتصرف فى اصلاح ما يرى أنه خطأ ولو خالف فصيح البلغاء .

ومباحث علم الاسناد على تنوعها وتعددها تهدف كلها إلى توثيق النص ونقده وبيان ما يقبل وما يرد من الروايات لانه إذا بطل السند واكتشف كذبه فإن ذلك يبطل النص المقول بهذا السند فعلم الاسناد بكل مسائله وأنواعه وعلله يهدف الى تصحيح النصوص ومحاربة الوضع والكذب فيها.

أما المبحث الثانى : فهو المبحث المنصب على المتن (النص)ويسمى علم الدراية وهو دراسة النص من جوانب متعددة منها ما يهدف إلى التأكد من صحة النص بعد ثبوت سنده ومنها ما يهدف الى فهم النص وفقهه سواء فهم أحكامه ودلالته أوفهم لغته والفاظه فكان من مباحثهم غريب الحديث ، أسباب ورود الحديث ، ناسخ الحديث ومنسوخه ، مختلف الحديث ، محكم الحديث ومتشابهه ... الخ (١)

---

(١) منهج كتابة التاريخ الاسلامى حتى نهاية القرن الثالث الهجرى تاليف محمد بن عامل العلياني ص ١٥٢ وما بعدها الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦ الناشر دار طيبة الرياض .

فالمنهج الاستردادى عند علماء الحديث قد بلغ من الدقة والاحكام أرقى ما يمكن أن تصل اليه الطاقة البشرية والمقدرة الانسانية لنقد مثل هذه العلوم ويرى الشيخ محمد أبو زهرة أن جهود العلماء المسلمين فى مقاومة الوضع قد اتخذت جانبين جانب نظرى وهو وضعهم للقواعد الدالة على الوضع فى الحديث وجانب عملى وذلك ببيانهم الأشخاص الوضاعين وتعريف الناس بهم وبيان الأحاديث الموضوعة بالنص عليها (١)

على أنه يجب ان أشير إلى أن هذه القواعد التى وضعها علماء الحديث للتوصل إلى معرفة النص الصحيح وإن كانت فى الأصل خاصة بالحديث النبوى الشريف إلا أنها صالحة للتطبيق على مختلف العلوم النقلية وخاصة علم التاريخ لأنه عبارة عن أخبار ووثائق وروايات لا طريق للتثبت من صحتها إلا بتطبيق هذه القواعد المنهجية لأنه من غير الممكن معرفة ذلك بواسطة التجارب المعملية.

وبذلك أستطيع أن أستخلص النتائج التالية :

١ – إن الأصول الى قام عليها المنهج الاستردادى أصول قرآنية شكلا وموضوعا .

٢ – تكامل منهج النقد الإسلامى وتدوين قواعده منذ القرن الثالث الهجرى حيث نقدوا النصوص ونقدوا حملة النصوص ورواتها مما أنتج لهم علم الاسناد المتصل الذى هو من خصائص هذه الأمة الاسلامية كما أنتج لهم مجموعة من المعارف والعلوم كعلم الرجال وطبقاتهم .. الخ وكان من ثمرات هذه العلوم أن حفظت للأمة تاريخها الثقافى والعلمى بأدق تفاصيله ومراحله (٢)

---

(١) الحديث والمحدثون للشيخ محمد أبو زهرة نقلا عن المرجع السابق ص ١٥٥ .

(٢) المرجع السابق ص ١٦٧ .

٣ – أن منهج النقد فى الحضارة الغربية لم توضع قواعده بشكل منظم إلا فى القرن التاسع عشر الميلادى أى بعد معرفة المسلمين لقواعد النقد بعشرة قرون كاملة أو اكثر ولابد أنهم استفادوا من قواعد النقد عند المسلمين يقول الدكتور النشار [أما إذا إنتقلنا إلى المنهج الاستردادى فإننا نرى المسلمين قد أقاموه على أسس علمية دقيقة فيما يعرف بعلم مصطلح الحديث وطرق تحقيق الحديث رواية ودراية وهى منهج البحث التاريخى كما عرفه (فلج وسيتيوبوس ولانجلو) وقد توصل المسلمون إلى كل ما توصل إليه علماء مناهج البحث التاريخى من نقد النصوص كما عرفوا طرق التحليل والتركيب التاريخية وفحص الوثائق ومنهج المقارنة والتقسيم والتصنيف كما أن دراسة طرق التحقيق التاريخى عند كثيرين من علماء الطبقات وخاصة التاج السبكى وابن خلدون والسخاوى] (١)

٤ – أن هذا المنهج لم يكن للسابقين – يونان ورومان – علم به وانما هو وليد الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى يقول الدكتور محمود قاسم [لم يتبع القدماء منهجا سليما فى دراسة التاريخ فكانوا يخلطون بينه وبين فن القصص وكانوا يجمعون الوثائق والروايات كيفما اتفق ثم يصهرونها ويصبونها فى قالب أدبى جذاب] (٢)

٥ – أن منهج النقد التاريخى – الاستردادى – فى ظل التصور الغربى غير صالح للتطبيق فى الدراسات الاسلامية وذلك لأن الأساس فى فهم الحادثة وتفسيرها وربطها بما قبلها وما تلاها ينبغى أن يكون قائما على أساس ادراك مقومات النفس البشرية جميعها روحية وفكرية وحيوية ومقومات الحياة البشرية جميعها معنوية ومادية

(١) مناهج البحث عند مفكرى الإسلام للدكتور النشار ص ٣٧٥ .

(٢) المنطق الحديث للدكتور محمود قاسم ص ٥٠٠ .

وهذا الادراك لتلك المقومات ينقص الطبيعة الغربية لإدراك الحياة الشرقية بصفة عامة والحياة الإسلامية على وجه الخصوص لعدم وجود عنصر الروحية الغيبية وخاصة فى العصور الحديثة بعد غلبة النظريات المادية والطريقة التجريبية على وجه الخصوص إذن ، ناول الغربيين للتاريخ الاسلامى تناول فيه نقص فى الادراك ونقص فى الفهم ونقص فى التفسير والتصوير وهذا النقص يعد عيبا فى منهج العمل التاريخى ذاته ومن ثم فالمنهج الأوربى فى البحث بسبب تعطيل أحد عناصر الاستجابة سواء كان ذلك ناشئا عن الطبيعة الغربية ذاتها وملابسات حياتها البيئية والتاريخية أو ناشئا عن تعمد الأوربى تعطيل هذا العنصر .

وهناك سبب أخر ألا وهو أن الأوربى ميال بطبيعته إلى اعتبار أوربا هى محور العالم فهى نقطة الرصد فى نظره ومن هذه الزاوية ينظر الى الحياة والناس والاحداث وإذا كان بدهيا أن أوربا لم تكن هى محور العالم فى كل عصور التاريخ وكان الأوربى لا يملك اليوم أن يتخلص من وهم وضعها الحاضر حين ينظر إلى الماضى أدركنا مدى انحراف الزاوية التى ينظر بها الأوربى للحياة الاسلامية التاريخية ومدى أخطاء الرؤية التى يضطر اليها اضطراراً ومدى أخطاء التفسير والحكم الناشئ من هذه الرؤية المعينة .

هذه كله على افتراض النزاهة العلمية المطلقة أما إذا وضعنا فى حسابنا – ولابد أن نضعه – من اختلاف العقيدة وكراهية الأوربى لدين الاسلامى لما حدث له على يد أهله من ذكريات مريرة فى الأندلس وفى بيت المقدس وفى الأستانة وفى سواها من صراع سياسى واقتصادى واستعمارى الى نزوات شخصية

والتواءات فكرية ... الخ أدركنا مدى خطورة الدراسات التاريخية الأوربية على الفكر الاسلامى (١) .

هذا فيما يتعلق بالمنهج الاستردادى وما قام به علماء الاسلام .

رابعا : المنهج الجدلى : -

وهو الذى [يحدد منهج التناظر والتحاور فى الجماعات العلمية أو فى المناقشات العلمية على اختلافها] (٢)

وقد اعتاد مؤرخوا المناهج فى العصر الحديث ألا يولوا لهذا النوع من المناهج عناية وبحثا شأن المناهج السابقة بل ان منهم من لا يذكره أصلا ضمن المناهج العلمية – كما فعل الدكتور محمود قاسم – ومنهم من يذكره عرضا – كما فعل الدكتور بدوى – حيث انهم يرون أنه لا يفيد معرفة علمية وذلك لأمرين : الأول : لأن مفهوم العلم عندهم مفهوما ضيقا . الثانى : ما أخذوه عن أرسطو من أن هذا النوع من المناهج لا يوصل إلى اليقين بل إن المعرفة التى يفيدها معرفة ظنيه لقيامه على مقدمات مشهورة .

والحقيقة أن هذا المنهج له أهميته الكبرى ومنزلته العالية فى تصحيح الفكر ودفع الشبهات فلقد استخدمه سقراط فى اثبات حقائق الأشياء وقد عرف ذلك المنهج عنده بالتهكم والتوليد يقول الأستاذ يوسف كرم [انتهج سقراط منهجا جديداً فى البحث والفلسفة أما فى البحث فكان له مرحلتان تدعيان التهكم والتوليد ففى الأولى كان يتصنع الجهل ويتظاهر بتسليم أقوال محدثيه ثم يلقى الأسئلة ويعرض الشكوك شأن من يطلب العلم والاستفادة بحيث

---

(١) فى التاريخ فكرة ومنهاج للأستاذ السيد قطب ص ٣٧ وما بعدها دار الشروق ط٤ سنة ١٩٨٠ .

(٢) مناهج البحث العلمى للدكتور عبد الرحمن بدوى ص ١٩ .

ينتقل من أقوالهم إلى أقوال لازمة منها ولكنهم لا يسلمونها فيوقعهم فى التناقض ويحملهم على الاقرار بالجهل .. وينتقل الى المرحلة الثانية فيساعد محدثيه بالأسئلة – الاعتراضات مرتبة ترتيبا منطقيا على الوصول إلى الحقيقة التى أقروا أنهم يجهلونها – فيصلو إليها وهم لا يشعرون] (١) كما استخدمه أفلاطون واتخذه منهجا له للوصول إلى الحقيقة عن طريق المناقشة بين اثنين أو عن طريق مناقشة النفس لنفسها [وحد الجدل بأنه المنهج الذى به يرتفع العقل من المحسوس الى المعقول دون أن يستخدم شيئا حسيا بل بالانتقال من معان الى معان بواسطة معان وبأنه العلم الكلى بالمبادئ الاولى والأمور الدائمة يصل اليها العقل بعد العلوم الجزئية ثم ينزل منه إلى هذه العلوم ويربطها بمبادئها والى المحسوسات يفسرها فالجدل منهج وعلم يجتاز جميع مراتب الوجود من أسفل إلى أعلى والعكس] (٢)

وإذا كان أفلاطون قد رفع الجدل إلى مقام العلم والمنهج العلمى فإن أرسطو قد نزل به الى مرتبة أدنى مما قال به أفلاطون وسقراط فحده بأنه [الاستدلال بالايجاب أو بالسلب فى مسألة واحدة بالذات مع تحاش الوقوع فى التناقض والدفاع عن النتيجة الموجبة أو السالبة وليس يمكن ذلك بالاستناد إلى حقائق الاشياء لان المقدمات الصادقة لا تنتج النقيضين فى آن واحد فلا يدور الجدل إلا بمقدمات محتملة أى آراء متواترة عند العامة أو عند العلماء فالقياس الجدلى يتفق مع البرهان فى أنه استدلال صحيح ويختلف معه فى أن مقدماته محتملة .. وإذن فليس الجدل علما أو منهج العلم كما قال أفلاطون ولكنه الاستدلال على وجه الاحتمال] (٣)

---

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية للأستاذ يوسف كرم ص ٥٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٦٩ .

(٣) المرجع السابق ص ١٣٠ .

هذا هو موقف الفكر اليونانى من المنهج الجدلى موقف يتسم بالتناقض والاضطراب فما قال به أفلاطون نقضه أرسطو وما اثبته أفلاطون نفاه أرسطو ... الخ

فإذا ما وصلنا إلى الفكر الاسلامى نجد القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يجعلنان لهذا المنهج مكانته البارزة والتى لا تقل شأنا عن المناهج السابقة فى افادته لليقين مع بيان الشروط التى يجب توافرها فيه والأسس التى يقوم عليها .

فلقد وردت كلمة الجدل بمشتقاتها فى القرآن الكريم فى ثمان وعشرين موضعا مثل قوله تعالى ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ. العنكبوت : ٤٦ ﴾ وقوله سبحانه ﴿ ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن . النحل ١٢٥ ﴾ وقوله تعالى ﴿ وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ الحج ٦٨ ﴾ إلى غير ذلك من الآيات فضلا عن وجود سورة بكاملها تحمل هذا الاسم (سورة المجادلة) علاوة على ما ورد فى القرآن الكريم بمعناه من محاورات فكرية [وقد ورد الجدل فى القرآن بعدة صيغ أهمها]

١ – ما رد الله به على الخصوم من الحجج والبراهين وما ساقه من الأدلة لتثبيت العقائد وتقرير قواعد الملة وهو أمر ضرورى لتبليغ رسالة الله وهذا النوع من الجدل القرآنى وإن كان فيه معنى الإلتزام والافصاح فإنه أيضا مشتمل على الارشاد .

٢ – ما ورد فى القرآن بطريق الحوار والقصد منه الاسترشاد وحب الاستطلاع والنظر للعظة والاعتبار أو الترجى والدعاء .

٣ – ما ورد على ألسنة الكفار من الاعتراضات والشبه والدعاوى الباطلة وهذا يدخل تحت عنوان الجدل بالباطل كما ورد فى القرآن الكريم ﴿ وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق . غافر ﴾ (١)

ولو أمعنا النظر فى آيات القرآن الكريم نجد أن بعض الآيات تأمر بالجدل مثل قوله تعالى ﴿ وجادلهم بالتى هى أحسن . النحل ١٢٥) وقوله تعالى ﴿ وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ. العنكبوت ٤٦ ﴾ والبعض الآخر تنهانا عن الجدل مثل قوله تعالى ﴿ وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ. النساء ١٠٧ ﴾ وقوله تعالى ﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ.البقرة ١٩٧ ﴾ على أن الجدال المأمور به فى بعض الآيات غير الجدال المنهى عنه فى البعض الآخر لأنه لا تعارض بين نصوص القرآن الكريم لذلك قسم العلماء الجدل فى القرآن الكريم إلى قسمين :

القسم الأول – الجدل الممدوح وهو ما كان بنيه خالصة وجرى بطريقة سليمة وأدى الى خير وفى هذا الصدد يقول ابن تيمية رحمه الله فكل من لم يناظر أهل الالحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن أعطى الاسلام حقه ولا وفى بموجب العلم والايمان ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنة النفوس ولا أفاد كلامه العلم واليقين .

القسم الثانى – الجدل المذموم : فهو كل جدال ظاهر الباطل أو أفضى اليه قال تعالى ﴿ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ. الكهف ٥٦﴾

---

(١) المنهج القرآنى فى الجدل والاستدلال للدكتور عبد السلام محمد بنهروال بحلة منار الاسلام العدد ١١ اللسنة ٢٦ الصادر فى ذى القعدة سنة ١٤٢١ الموافق فبراير سنة ٢٠٠١ م .

والجدل المذموم ينقسم إلى قسمين : ١ – الجدال بغير علم ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ . الحج ٨﴾ ٢ – جدال لنصرة الباطل بالشغب والتمويه بعد ظهور الحق ﴿وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق . غافر﴾ (١)

أما عن مزايا المنهج الجدلى فى القرآن فإنه يتمثل فى عدة نقاط أهمها :

١ – أن الجدل القرآنى يستهدف الحقائق فى ذاتها ويقيم عليها البراهين والحجج الدالة على الأمور المعينة مثل الأمور الغيبية ولا يمكن أن يعرف شئ من ذلك بالقياس البرهانى وغيره من أقيسة المناطقة .

٢ – أن الجدل القرآنى لابد أن يكون قائما على العلم أما الجدل القائم على الظن والجهل فهو مرفوض مذموم صاحبه فى الدنيا والآخرة وهذا بخلاف الجدل الأفلاطونى .

٣ – أن الجدل القرآنى يوصل إلى اليقين بينما هو عند أرسطو لايفيد إلا الظن .

٤ – أن الجدل ظاهرة انسانية لا يمكن اغفالها أو التغاضى عنها لذلك لابد من وضع الأسس والقواعد التى تقوم عليها .

٥ – أن الجدل القرآنى يمكن أن يقنع الناس جميعا على اختلاف أصنافهم وتباين مداركهم اذا هم احتكموا اليه بينما هو عند أرسطو لا ينفع إلا صنف واحد من البشر .

---

(١) المنهج القرآنى فى الجدل والاستدلال .

هذا فيما يتعلق بالمنهج الجدلى فى القرآن الكريم.

أما عن موقف علماء الإسلام من هذا المنهج فهذا ما سنبينه لنرى مكانة هذا المنهج وكيف عالجوه فى أبحاثهم وما هى الأسس التى يقوم عليها عندهم .

لقد أخذ الاصوليون والمتكلمون منذ بداية نشاطهم الفكرى مواقف فى تحصيل المعارف عرفت بالجدل وهو من نتاج قريحتهم وممارستهم للعلم وخاصة علوم الدين ولهم فى ذلك أقوال تتعلق بتعريف الجدل لغة واصطلاحا وبيان الأسس التى يقوم عليها الجدل – وهذه الأسس ترتبط بمذاهبهم فى المعرفة أو مدارك العلوم عامة والدينية خاصة – ومميزات الموقف الجدلى والآداب التى يجب اتباعها كل المتجادلين يقول العلامة بن خلدون [وأما الجدال وهو معرفة اداب المناظرة التى تجرى بين أهل هذه المذاهب الفقهية وغيرهم فإنه لما كان باب المناظرة فى الرد والقبول متسعا وكل واحد من المتناظرين فى الاستدلال والجواب يرسل عنانه فى الاحتجاج ومنه ما يكون صوابا ومنه ما يكون خطأ فاحتاج الائمة الى أن يضعوا أدابا وأحكاما يقف المتناظرين عند حدودها فى الرد والقبول وكيف يكون حال المستدل والمجيب وحيث يصوغ له أن يكون مستدلا وكيف يكون محصوصا منقطعا وخلل اعتراضه أو معارضته وأين يجب عليه السكوت ولخصمه الكلام والاستدلال ولذلك قيل فيه انه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب فى الاستدلال التى يتوصل بها الى حفظ رأى وهدمه سواء كان ذلك الرأى من الفقه أو غيره] (١)

(١) مقدمة بن خلدون ص ٤٥٧ .

وهذا النص يضع أيدينا على الحقائق التالية :

١ – أن هذا العلم وليد النشأة الاسلامية حيث إن الذى دعا إلى وجوده أمر اسلامى .

٢ – أن الجدل منه ما هو صواب ومنه ما هو خطأ .

٣ – أن مسائل الجدل مرتبطه ارتباطا كاملا بنظرية العلماء فى العلم وذلك لاستخدامه فى مجال الاستدلال أو دفع الشكوك وهذا يعنى منذ البداية أن الجدل عندهم يفيد اليقين .

٤ – أن الجدل مرادف للنظر ولكن على اسلوب المفاعلة أى على أسلوب التدافع والتنافى وأهمية هذه الحقيقة تكمن فى أن الجدل بما أنه نظر والنظر الصحيح موصل الى الحقيقة فالجدل الصواب موصل الى الحقيقة ولكن على اسلوب التدافع لا يزيد الوصول إلى الحقيقة الا قوة ووضوحاً .

من أجل ذلك اعتنى علماء الاسلام بعلم الجدل ودونوا فيه وكانت لهم طريقتان فى تدوينه يقول بن خلدون [وهى طريقتان طريقة البزدونى وهى خاصة بالأدلة الشرعية من النص والاجماع والاستدلال وطريقة العميدى وهى عامة فى كل دليل يستدل به من أى علم كان واكثره استدلال وهومن المناحى الحسنة وهو أول من كتب فيه المسمى بالارشاد] (١)

الأسس التى يقوم عليها المنهج الجدلى :

لقد وضع العلماء الأسس التى يقوم عليها المنهج الجدلى وقسموها إلى قسمين :

---

(١) السابق ص ٤٥٧ .

أسس عامة وأسس خاصة

يقول الامام الجوينى [فأول شئ فيه مما على الناظر أن يقصد التقرب إلى الله سبحانه وطلب مرضاته إلى امتثال أمره سبحانه فيما أمر به من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعاء الى الحق عن الباطل وعما نخبر فيه ويبالغ قدر طاقته فى البيان والكشف عن تحقيق الحق وتمحيق الباطل ، ويتقى الله أن يقصد بنظره المباهاة وطلب الجاه والتكسب والمماراة والحك والرياء ويحذر اليم عقاب الله سبحانه ، ولا يكن قصده الظفر بالخصم والسرور والغلبة والقهر فإنه منه دأب الأنعام الفحولة](١)

ومن هذا النص يتبين أن الاسس العامة التى يقوم عليها المنهج الجدلى تتمثل فى :

١- الانطلاق من الواقع دون نسق فكرى مسبق يكون له الأولية فى تحديد ما يدرس من الواقعة الخارجية فالمعنى هو ما يطابق الحقيقة المحسوس منها وغير المحسوس .

٢ – أن تحديد معالم الحقيقة لا يكون انطلاقا من مذهب متعقل مسبق فى تفسير الوجود الخارجى ولكنه نخضع لاصول منهج ثابت لكشف الحقيقة يعتمد على الاستقراء او الاستدلال طبقا لطبيعة الموضوع المطروح على بساط البحث .

٣ – أن المعرفة الآتية عن طريق الحواس لها نفس درجة الضرورة من حيث إثبات الوجود الخارجى كالمعرفة العقلية بالنسبة للبديهيات العقلية أى أنه يأخذ بالحس مصدر للمعرفة الى جانب العقل كملكة ذهنية إلى جانب القلب للايمان والوجود وكذلك الخبر .

---

(١) الكافية فى الجدل للإمام الجوينى ص٥٢٩ تحقيق الدكتور فوقية حسين سنة ١٩٧٩

٤ – أن الموضوعات منها ما هو محسوس ومنها ما هو متعقل ومنها ما هو قلبى موضوع إيمان وكلها محل تصديق ولا ترد إلى المتعقل فقط كما هو الأمر فى الفكر الأرسطى مثلا لأن كلا منها يمثل حقيقة لها طبيعتها المفارقة الأخرى .

٥- أن النظر (الجدل) موصل للحقيقة مهما طال أمده إذا كان على الوجه المشروع .

٦ – أن الحقيقة تطلب لوجه الله تعالى بمعنى أنه لابد لمن يبحث فى العلم أن يطلبه مع خشية ربه فيما يسعى اليه وهذا أدب عرفت به الشريعة الاسلامية من أجل صالح الانسان (١)

أما الأسس الخاصة التى يقوم عليها المنهج الجدلى فإنها تتمثل فى النقاط التالية :

١ – أن الجدل لابد أن يكون بين طرفين طالبى حقيقة ومريدى بيان أما أن يكون أحدهما على يقين من أمره ببرهان قاطع لا بإيهام نفسه ويكون الاخر متوهما أنه على حق وهذا يعنى أن وجهة نظر كل منهما تخالف وجهة نظر الاخر فى موضوع واحد.

٢ – أن الجدل لابد من توفر فيه عنصر الأمان .

٣ – أن ما صح بالبرهان لا يبطله برهان اخر لان البراهين لا تتعارض أبدا ومن أجل هذا فإن شهادة الحاضرين بالغلبة لأحدهما ليست شيئا إذ ربما يكونوا موافقين لما ذهب اليه ولكن العبرة بالبرهان حتى ولو لم يقل به غيره .

---

(١) مقدمةالكافية فى الجدل للحوينى للدكتورة فوقية حسين ص ٤٧، ٤٨ .

٤ – أن النظر الذى به تصحيح الأشياء هو ردها إلى المقدمات الأوائل فما رجع اليها وشهدت له فهو صحيح ومالم يرجع اليها فهو فاسد(١)

وعلى هذا نستطيع أن نصل إلى النتائج التالية :

١ – أن المنهج الجدلى وليد الحضارة الاسلامية القائمة على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

٢- أن المنهج الجدلى فى الاسلام يختلف تمام الاختلاف عن الجدل فى الفلسفة اليونانية فهو عند سقراط وأفلاطون قائم على الفكر فقط بينما عند أرسطو لا يوصل الا الى معرفة ظنية لكنه فى الاسلام قائم على الحس والفكر والقلب وهو بطبيعته موصل الى اليقين .

٣ – أن المنهج الجدلى فى الاسلام يستعين ببقية المناهج الأخرى بينما فى الفلسفة اليونانية هو المنهج الأوحد عند بعضهم – كما هو الحال عند أفلاطون – ولا عبرة له عند البعض الأخر ، كما هو الحال عند أرسطو – والذى لا يعرف إلا بالقياس المنطقى .

٤ – أن المنهج الجدلى فى الاسلام يستخدم فى جميع العلوم كل حسب طبيعته وموضوع بحثه حيث إن مفهوم العلم فى الاسلام قائم على العموم والشمول بخلاف العلم عند اليونان وعلماء عصر النهضة الذين يحصرون العلم فى دائرة ضيقة .

٥ – أن الهدف من المنهج الجدلى فى الاسلام يتمثل فى الوصول الى الحق والخشية من الله سبحانه وتعالى وهذا مالم يعرفه اليونان ولا علماء عصر النهضة .

---

(١) انظر رسائل بن حزم تحقيق الدكتور احسان عباس حـ٤ ص ٣٢٥ وما بعدها.

هذا فيما يتعلق بأنواع مناهج البحث والتى سبق أن حددها علماء الاسلام قبل أن تعرفها أوربا بعدة قرون بل إن القرآن الكريم وكذا السنة النبوية المطهرة لهما الدافع الأول لعلماء الاسلام ومفكرية للبحث والتنقيب عن مثل هذه المسائل .

وفى النهاية يمكن الاشارة إلى عدة نتائج هى من الأهمية بمكان:

١ – أن علم مناهج البحث ليس كما يُدعى أنها نتاج العقلية الأوربية وانما هى نتاج العقلية الاسلامية القائمة على تفهم نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وصدق الله حيث قال " ما فرطنا فى الكتاب من شئ " وقوله " تبيانا لكل شئ " .

٢- أن ما كتبه الأوربيون فى هذا العلم اذا قورن بما صنفه علماء الاسلام فى هذا المجال لنجد أن البون شاسع بين هؤلاء والنك حيث إنه عند المسلمين أعم وأشمل وأدق وأحكم بينما أن سمته البارزة عند الغربيين التضارب والتناقض والتباين .

٣ – أن علم مناهج البحث يقوم على جانبين الأول يمثل الجانب المادى والثانى يمثل الجانب الروحى وهو عند المسلمين يسير على قدمين مستويا أما عند الغربيين فإنهم أخذوا من المسلمين – الجانب المادى فقط وتركوا الجانب الروحى – فهو يسير على قدم واحدة فهو علم أعرج وصدق الله حيث قال (أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمن يمسى سويا على صراط مستقيم)

أن هناك كثير من البحوث والنظريات العلمية لعلماء الاسلام ومفكرية نسبت بعلم وبغير علم لغير أصحابها من الغربيين وذلك لتعصبهم البغيض ضد الاسلام ولإنكار العبقرية المسلمة واثبات ذلك لانفسهم والعجيب أن الذى يشهد بهذا أبناء جلدتهم وصدق الشاعر

حيث قال " قد ينكر القم طعم الماء من سقم وتنكر العين ضوء الشمس من رمد "

أبعد كل هذا فهل يصح ما يقول به بعض المسلمين من أن هذا العلم ما وجد إلا على ايدى علماء الغرب قد يقبل هذا من مستشرق أو مبشر لتعصبه البغيض للإسلام وأهله اما أن يقول بذلك مسلم فلا والف لا .

الخاتمة

يمكن استخلاص النتائج التى أثمرها البحث فى الأتى : -

١ – أن الفكر الاسلامى الذى هو نتاج العقل المسلم بتفهمه لنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وتدبره لما إشتملت عليه هذه النصوص من معان قد احتوى جميع العلوم والمعارف ما وجد منها ومالم يوجد بعد .

٢ – أن الفكر الاسلامى قد إنتقل إلى بلاد أوربا وهو السبب الرئيسى فى النهضة الاوربية والحضارة الغربية – شهد بذلك المنصفون منهم .

٣ – أن معالم المنهج العلمى الأوربى والذى قال به كل من بيكون وديكارت هو مقتبس من الفكر الاسلامى بصورة مشوهة فضلا عن تناقضه وقصوره ولقد اثبت ذلك بعض الغربيين انفسهم " والفضل ما شهدت به الأعداء " .

٤ – أن الفكر الاسلامى كانت له حضارة ومدنية فاقت ما سبقها من حضارات وما تلاها واذا أراد المسلمون تقدما ومدنية عليهم أن يعودا إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم وما تركه سلف هذه الأمة من آثار والذين دانت لهم الدنيا بأسرها .

٥ – أن الفكر الاسلامى قد إشتمل على معالم المنهج العلمى القويم والذى يتفق مع طبيعة الموضوع المدرك والعقل المدرك والذى يتلائم مع الزمان والمكان .

٦ – أن الجانب السلبى للمنهج العلمى فى الفكر الاسلامى ممكن التحقق والوقوع بينما أنه لدى الفكر الغربى – أوهام بيكون

وقواعد المنهج عند ديكارت – مستحيلة الوقوع حيث أنها تطلب انفصالا تاما بين العقل والواقع فضلا عن التناقض البارز عند كل منهما .

٧ – أن خطوات المنهج العلمى فى الفكر الاسلامى يمكن تطبيقها على أى فرع من فروع العلم المختلفة ما يخضع للتجربة ومالا يخضع بينما أن المنهج العلمى الاوربى مقصور على فرع واحد من فروع العلم – حسب تخصص واضعه – فضلا عن عدم اشتماله لجميع مسائل ذلك النوع .

٨ – أن القرآن الكريم وكذا السنة النبوية المطهرة قد أشارا إلى جميع أنواع المناهج العلمية وأن هذه المناهج وليدة الفكر الاسلامى وليس كما يُدعى أنها وليدة الفكر الاوربى .

٩ – أن علماء الاسلام ومفكريه هم أول من وضعوا الشروط والقواعد للمناهج العلمية وأنها عندهم تفيد اليقين بخلاف الفكر الاوربى

هذا وبالله التوفيق

مصادر البحث ومراجعه

(١) القاموس المحيط : للفيروزآبادى مطبعة الحلبى سنة ١٩٥٣ .

(٢) الجامع لاحكام القرآن للإمام القرطبى – دار الفكر سنة ١٩٩٩ .

(٣) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) للإمام فخر الدين الرازى – دار الكتب العلمية سنة ١٩٩٠ .

(٤) مسند الامام أحمد بن حنبل – دار الفكر العربى

(٥) مناهج البحث العلمى للدكتور : عبد الرحمن بدوى – دار المطبوعات الكويت سنة ١٩٧٧ .

(٦) تجديد الفكر الدينى للدكتور محمد اقبال ترجمة الاستاذ العقاد سنة ١٩٦٨ .

(٧) شمس العرب تسطع على الغرب : زيغريد هونكى نقله عن الالمانية فاروق بيضون – كمال دسوقى : راجعه ووضع حواشيه فاروق عيسى الخورى ط٦ سنة ١٩٨١ .

(٨) المنهج الفلسفى بين الغزالى وديكارت للدكتور محمود زقزوق – دار المعارف سنة ١٩٩٧ .

(٩) فى مناهج العلوم للدكتور / حسن عبد الحميد رشوان – مؤسسة شاب الجامعة الاسكندرية سنة ٢٠٠٢ .

(١٠) لسان العرب لابن منظور – دار صادر – بيروت ط ١ سنة ٢٠٠٠ .

(١١) التعريفات للشريف الجرجانى : مصطفى البابى الحلبى القاهرة بدون تاريخ

(١٢) المفردات للراغب الأصفهانى : دار المعرفة بيروت ط٣ سنة ٢٠٠ .

(١٣) البحث العلمى ومناهجه النظرية برؤية اسلامية للدكتور / سعد الدين صالح

(١٤) دائرة معارف القرن العشرين للأستاذ محمد فريد وجدى بيروت بدون تاريخ

(١٥) أسس البحث العلمى للدكتور / حسن عبد الحميد رشوان – الاسكندرية

(١٦) أسس الفلسفة للدكتور / توفيق الطويل – لجنة التاليف والترجمة والنشر سنة ١٩٥٨

(١٧) منهج البحث العلمى عند العرب للدكتور جلال عبد الحميد موسى ط١ سنة ١٩٧٢ –دار الكتاب اللبنانى

(١٨) دراسات فى الفلسفة الحديثة للدكتور محمود حمدى زقزوق – الطباعة المحمدية سنة ١٩٨٨

(١٩) الالة الجديدة لفرنسيس بيكون ترجمة حبيب الشاروني – دار الثقافة - الدار البيضاء المغرب ط١ سنة ١٩٨٦ (فلسفة فرنسيس بيكون)

(٢٠) المذاهب الفلسفية العظمى للدكتور محمد غلاب – البابى الحلبى سنة ١٩٤٨

(٢١) قصة الفلسفة للأستاذ ول ديورانت – دار المعارف بيروت

(٢٢) تاريخ الفلسفة الحديثة للأستاذ يوسف كرم ط٤ – دار المعارف سنة ١٩٦٦

(٢٣) تأملات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة للدكتور محمد عبد الرحمن بيصار ط٢

(٢٤) قصة الحضارة للأستاذ ول ديورانت نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب

(٢٥) ديكارت للدكتور نجيب بلدى (سلسلة نوابغ الفكر الغربى) دار المعارف سنة ١٩٨٧

(٢٦) المقال عن المنهج لديكارت – ترجمة الدكتور محمود محمد الخضيرى – الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٨

(٢٧) المفكرون من سقراط الى سارتر للأستاذ عثمان نوية الانجلو المصرية سنة ١٩٧٠

(٢٨) المعجم المفهرس لالفاظ القرآن : جمع الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى ط ١ سنة ١٩٩٦

(٢٩) تطور الفكر العلمى عند المسلمين للدكتور : محمد الصادق عفيفى الخانجى بدون

(٣٠) الاسلام فى عصر العلم للمرحوم محمد أحمد الغمراوى – دار الكتب الحديثة سنة ١٩٧٨

(٣١) محاضرات فى العقيدة والتوحيد للدكتور عبد الرحمن محمد المراكبى بدون

(٣٢) العقيدة الاسلامية وأسسها : عبد الرحمن حسن حبنكة ط٦ سنة ١٩٩٢ دار العلم دمشق

(٣٣) احياء علوم الدين للامام الغزالى البابى الحلبى بدون تاريخ

(٣٤) رسائل بن حزم تحقيق الدكتور احسان عباس ط١ سنة ١٩٨٣ المؤسسة العربية بيروت

(٣٥) المنهج القويم فى المنطق الحديث والقديم للمرحوم أمين الشيخ وأخرين القاهرة بدون

(٣٦) المنطق الحديث ومناهج البحث للدكتور محمود قاسم

(٣٧) الجواهر فى تفسير القرآن للشيخ طنطاوى جوهرى ط٢ البابى الحلبى سنة ١٣٥٠ هـ

(٣٨) الكشاف للإمام الزمخشرى

(٣٩) الكليات لأبى البقاء الكفوى

(٤٠) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبدة تحقيق وتقديم د / محمد عمارة ط١ سنة ١٩٩٣ – دار الشروق

(٤١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبى العز الحنفى – المكتب الاسلامى بيروت سنة ١٤٠٠ هـ

(٤٢) درء تعارض العقل والنقل للإمام بن تيمية تحقيق الدكتور / محمد رشاد سالم السعودية(جامعة الإمام محمد بن سعود)

(٤٣) القسطاس المستقيم للامام الغزالى (ضمن مجموعة القصور العوالى) الجندى بدون تاريخ

(٤٤) رسالة الكندى الى المعتصم بالله تحقيق الدكتور / احمد فؤاد الاهوانى

(٤٥) مناهج البحث عند مفكرى الاسلام للدكتور على سامى النشار

(٤٦) طبقات الامم للقاضى صاعد بن أحمد الاندلسى

(٤٧) مقدمة بن خلدون : دار القلم بيروت

(٤٨) المنطق الحديث وفلسفة المناهج للدكتور / محمد عزيز نظمى سالم

(٤٩) القرآن وعلم النفس للدكتور / محمد عثمان نجاتى دار الشروق سنة ١٩٨٢

(٥٠) منهج كتابة التاريخ الاسلامى حتى نهاية القرن الثالث الهجرى للاستاذ محمد بن عامل العليانى – دار طيبة الرياض : ط ١ سنة ١٩٨٦

(٥١) فى التاريخ فكرة ومنهاج للاستاذ السيد قطب – دار الشروق ط٤ سنة ١٩٨٠

(٥٢) تاريخ الفلسفة اليونانية للاستاذ يوسف كرم

(٥٣) الكافية فى الجدل لإمام الحرمين عبد الملك الجوينى تحقيق الدكتور فوقيه حسين سنة ١٩٧٩ .